وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى
ثم بالحلي والجواهر في السنة الثانية ثم بالدواب في السنة الثالثة ثم بالعبيد
والاماء في السنة الرابعة ثم بالضياع والعقار في السنة الخامسة ثم باولادهم
في السنة السادسة ثم برقابهم في السنة السابعة حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة
الا صار عبدا له فقال الناس ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من هذا صار كل
الخلق عبيدا له فلما سمع ذلك قال اني اشهدوا الله اني اعتقت اهل مصر عن
اخرهم ورددت عليهم اموالهم املاكهم وكان لا يبيع احدا ممن يأكل الطعام اكثر
من حمل بعير لئلا يضيق الطعام على الباقين هذا ملخص ما قاله البغوي والزمخشري
وغيرهما قال الرازي والله اعلم بحقيقة الحال وروي ان يوسف عليه السلام
كان لا يشبع من طعام في تلك الايام فقيل له تجوع وبيدك خزاين الارض فقال
اني اخاف ان شبعت ان انسى الجايع وامر يوسف طباخ الملك ان يجعل غداءه نصف النهار
اراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجايعين قال البغوي فمن ثم
جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال الله تعالى نصيب اي نخص برحمتنا
من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا
واجلا لان اضاعة الاجر اما ان تكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع في حق
الله تعالى فالاضاعة ممتنعة ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش
قال الرازي وهذا تنصيص من الله تعالى على ان يوسف كان في الزمان السابق
من المتقين وليس هاهنا زمان سابق يحتاج الى بيان انه كان فيه من المتقين
الى ذلك الوقت الذي قال الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها فكان هذا شهادة
من الله تعالى على انه عليه السلام كان في ذلك الوقت من المتقين وايضا قوله
قوله ولا نضيع اجر المحسنين شهادة من الله تعالى على انه عليه السلام
من المخلصين فثبت ان الله تعالى شهد بان يوسف كان من المتقين ومن
المحسنين ومن المخلصين والجاهل الحشوي يقول انه كان من المذنبين
ولا شك ان من لم يقبل قول الله تعالى مع هذه التأكيدات كان من الاخسرين
ولما اشتد القحط وعظم البلاء عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد
الشام وارض كنعان وقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف
عليه السلام لا يعطي احدا اكثر من حمل بعير وان كان عظيما مقسطا بين
الناس وتزاحم الناس عليه ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة
فبعث الى مصر للميرة وامسك بنيامين اخا يوسف لامه وابيه فذلك
قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان منزلهم بالعربات من ارض
فلسطين بغور الشام وكانوا اهل ابل وشاء فدعاهم ابوهم يعقوب
عليه السلام وقال بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام وههنا
همزتان مختلفتان من كلمتين فقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الثانية

والباقون

والباقون بالتحقيق فلما امرهم ابوهم بذلك خرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا عليه
فعرفهم قال ابن عباس باول نظرة اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم
حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون اي لم يعرفونه ولذلك لوجوه الاول انه عليه
السلام امر حجابا ان يوقفوهم من البعد وما كان يتكلم معهم الا بواسطة الثاني
انهم حين القوه في الجب كان صغيرا ثم انهم رأوه بعد وفور اللحية وكبر الجثة قال
ابن عباس وكان بين ان قذفوه في البير وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك
انكروه وقال عطا انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان بزي ملوك مصر
عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب ثم ان يوسف عليه السلام امر بانزا لهم
واكرامهم وكانت عادته ان لا يزيد احدا على حمل بعير وكانوا عشرة فاعطاهم
عشرة احمال كما قال تعالى ولما جهزهم بجهازهم اي اوفاهم كيلهم والجهاز ما
يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلد الى اخرى وما تزف به المراة
الى زوجها فقالوا ان لنا شيخا كبيرا واخا اخر بقي معه وذكروا ان اباهم لاجل سنه
وشدة حزنه لم يحضر وان اخاهم في خدمة ابيه ولا بد لهما ايضا من حملين اخرين
من الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف فهذا يدل على ان حب ابيكم له ازيد من حبه
لكم وهذا شيء عجيب لانكم انتم مع جمالكم وعقولكم وادبكم اذا كانت محبة ابيكم لذلك
الاخ اكثر من محبته لكم دل ذلك على انه اعجوبة في العقل والادب فجيبوا به حتى
اراه كما قال تعالى حكاية عنه قال ايتوني باخ لكم من ابيكم اي الذي خلفتموه عنده
وقيل انه لما نظر اليهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني
انكرت شانكم قالوا قوم من ارض الشام اصابنا ما اصاب الناس فجينا نمتار
فقال لعلكم جئتم لتنظروا الى عورة بلادنا قالوا لا والله لسنا بجواسيس انما نحن
اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله تعالى قال
وكم كنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا الى
الى ابينا قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال واين الاخير قالوا عند ابينا
لانه اخو الذي هلك وابوه يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا
ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فقال يوسف فاتوني باخيكم الذي من
ابيكم ان كنتم صادقين قال انا ارضى بذلك فقالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسنراود
عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني باخيكم فاقترعوا بينهم
فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده ثم انه
قال لهم الا ترون اني اوفي الكيل اي اتمه ولا ابخس منه شيا الا ترون من اني
والباقون بالسكون واما الياء من اوفي فجميع القراء يثبتونها في الوقف لثبوتها في الرسم
وحذفوها في الوصل للالتقاء الساكنين وانا خير المنزلين اي المضيفين فانه كان
قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الرازي وهذا يضعف قول من
يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم عيون وجواسيس ولو شافههم